



وزارة التربية والتعليم
جامعة أسيوط



جامعة أسيوط / كلية الآداب

قسم / اللغة العربية

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية

بـعـنـوان:

السخرية في أدب الجاحظ

بإعداد الطالبة :

فاطمة حسن عقيلة

بإشراف:

د. زينب محمد النعاس

العام الأكاديمي

2023/2022م

كلمة الشكر

نتوجه بأسمى معاني الشكر والعرفان بالجميل إلى الدكتورة
المشرفة "زينب محمد النعاس" التي منحتني من وقتها الثمين
و بحر معلوماتها وخبراتها الواسعة ، حيث كانت توجيهاتها
ونصائحها المنارة التي إستعنت فيها في كامل بحثي...

أسأل الله العظيم القدير أن يعجزنا عن غيبنا عنكم جميعاً (الجزء الأول)
أسأل الله العظيم القدير أن يعجزنا عن غيبنا عنكم جميعاً (الجزء الثاني)

الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ...

أهدي تخرجي وحصاد ما زرعته في سنين طويلة إلى ...

من كلكه الله بالهيبة والوقار *** إلى من علمني العطاء من دون إنتظار
*** إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار *** أرجو من الله أن يطيل في عمره
ويمده بالصحة والعافية

(والدي العزيز)

إلى ملاكي في الحياة *** إلى معنى الحب والحنان *** إلى بسمة الحياة
وسر الوجود *** إلى من كان دعائها سر نجاحي *** وحنانها بلسم
جراحي

(أمي العزيزة)

إلى رفيق دربي وصديق أيامي *** إلى من أخذ بيدي نحو تحقيق حلمي
*** إلى من كان الداعم الأكبر طوال فترة دراستي

(زوجي الغالي)

*** لكم جميعاً أهدي عمرة جهدي هذه ***

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات	ت
	كلمة الشكر	.1
	الإهداء	.2
	التمهيد	.3
	المقدمة	.4
الفصل الأول الجاحظ حياته وأدبه		
	المبحث الأول : مولده ونشأته	.5
	المبحث الثاني : البخلء	.6
	المبحث الثالث : السخرية عند الجاحظ	.7
الفصل الثاني شخصيات البخلء عند الجاحظ		
	المبحث الأول : النماذج الرجالية	.8
	المبحث الثاني : النماذج النسائية	.9
	الخاتمة	-
	المصادر والمراجع	.10

المقدمة :-

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يعد الجاحظ أحد أهم الكتاب في العصر العباسي، وقد لقيت مؤلفاته رواجاً كبيراً ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا، فهو كاتب ومبدع وناقد لاذع واسع الثقافة والإطلاع، تميزت مؤلفاته بسهولة الأسلوب، والفكاهة في طريقة سرد القصص فضلاً عن السخرية التي تحمل في طياتها غايات عدة، والتي ظهرت جلية في كتابه البخل الذي يعبر عن حياة العصر الذي عاش فيه، فقد جمع فيه الجاحظ أحوال الناس الاجتماعية والنفسية والثقافية، فدرس الجاحظ من خلال هذا الكتاب خبايا المجتمع وما تخفيه نفوس هؤلاء البخلاء ويفسر ذلك من خلال حركاتهم الجسدية، وتكمن أهمية هذا الكتاب في الفكرة التي أراد الجاحظ إيصالها للقارئ، والتي تتمثل في تأثير البخل على تفكير الإنسان وانفعالاته النفسية وحركاته الغريبة والذي يقوده أحياناً إلى الطمع إذ وضعه في قالب يتسم بالبساطة والسخرية فظهرت فيه طبيعة الجاحظ المرحّة، فلم يكتب كتاباً إلا وظهر فيه أسلوبه الذي يعالج فيه موضوعات متنوعة بأسلوب ساخر، فكانت كتاباته متميزة عن باقي الأدباء في عصره وباقي العصور الأدبية، وسخريته في هذا الكتاب سخرية ضاحكة لا تحمل كرها لأحد، وإنما هي نابعة من نفسه المرحّة التي تحب الضحك والدعابة.

ومن هنا كان اختياري للجاحظ ولموضوع بحثي هذا

" السخرية في أدب الجاحظ" وقد اعتمدت خطة منهجية شملت مقدمة وتمهيد وفصلين، فصل نظري وآخر تطبيقي بالإضافة إلى خاتمة.

فقد تطرقت في المقدمة إلى أهمية كتاب البخل والغايات التي كان يهدف إليها الجاحظ من

خلال تأليفه هذا الكتاب. أما الفصل الأول الذي جاء بعنوان: الجاحظ حياته وأدبه، تناولت في المبحث الأول التعريف بالمؤلف مولده ونشأته، أما المبحث الثاني فكان عن كتاب البخلاء، أما المبحث الثالث فقد تطرقت فيه لمفهوم السخرية عند الجاحظ وميله للكتابة الساخرة.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: شخصيات البخلاء عند الجاحظ، تطرقت في المبحث الأول إلى بعض النماذج الرجالية في كتاب البخلاء، أما المبحث الثاني فكان لبعض النماذج النسائية

وأخيرا ختمت البحث بخاتمة استخلصت فيها جملة من النتائج، مع ذكر المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

❖ التمهيد :-

مالت السخرية في العصر العباسي إلى الأسلوب البعيد عن الجزالة والرصانة ، أسلوب بسيط سواء في المعاني والألفاظ أو الصياغة.

كما اشتملت السخرية الشعراء في هذا العصر بالتنديد والهزء بمن تدور حوله الشكوك في أصله العربي.

واشتملت السخرية أيضاً ملامح الوجه وغيرها من أعضاء الجسم وكذلك قد اشتملت الظواهر الإجتماعية وفيها التطفل ومن الشعراء والكتاب الذين يبتسم أدبهم بالسخرية في هذا العصر هم ((بشار بن ، ابي نواس ، حماد عجرد ، عبدالصمد بن المعزل ، منصور الاصبهاني ، العتبي ، الحمدوني ، ابن الرومي ، ابن سكره ، وغيرهم كثيرون))

❖ السخرية في عصر النبوة :-

السخرية في عصر الرسول وفي أثناء المعارك التي كانت تقوم بين المسلمين والمشركين فقد كانت السخرية تستخدم غالباً من جانب المشتركين لأنهم المنهزمون عقلياً وروحياً فاستخدموا هذا السلاح مع ما استخدموا من أسلحة أخرى ضد الرسول عليه السلام.

فيرى ابن هشام¹ صاحب السيرة أن الإراشي لما طلب من بعض القرشيين أن يعينوه على رد إبله ، أشاروا إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهم يهزؤون به ، لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ، فقالوا : إذهب إليه فإنه يؤديك عليه ، وكان الرسول - عليه الصلاة والسلام - إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب وعمار وأبو فكيهة يسار مولي صفوان بن أمية ، وصهيب وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قریش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق !!؟؟

لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا ومرّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف وأبي جهل بن هاشم فهمزوه

¹ انظر كتاب السخرية في الأدب العربي ، ص 62

وَاسْتَهْزَأُوا بِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ : { وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } ولما تمادوا في السخرية وأكثروا من الإستهزاء بالرسول - عليه السلام - أنزل الله تعالى : { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } .

وقد كان المنافقون يحضرون إلى المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم وقد روى عبدالله بن أبي وأصحابه قصة تدل على هذا الإستهزاء "خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال عبدالله بن أبي: إنظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم: فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في المغار ، البادل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر ثم علي وأخذ يمدحهم سخرية بهم كما فعل مع أبي بكر ، ولذلك نزلت فيهم الآية : { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } وكان أميه بن خلف جالساً ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً فاتاه عقبه بن أبي معيط ، وهو جالس بين قومه بمجرة يحملها فيها ناراً ومجمر ، حتى وضعها بين يديه ثم قال له : يا أبا علي ، إستجمر فإنما أنت من النساء ، قال قبحك الله وقبح ما جنت به ، قال : ثم تجهز فخرج مع الناس.

ومن هنا نعرف أنه كانت هناك سخرية في عصر النبوة ولكنها لم تصل إلينا وضاع معظمها.

❖ السخرية في صدر الإسلام :-

ظهر في صدر الإسلام شاعران كبيران إذ يكون معهما مدرسة هجائية ساخرة وهما: (حسان والحطيئة).

وأما أولهما : وهو الحسان بن ثابت فلم يرو الرواة عن حياته ما يجعله منبعاً فياضاً لطائفة كبيرة من شعر السخرية غير أننا عثرنا له على ساخر إمتد أثره إلى مخيلة جرير فتأثر به ، فمن ذلك ما قاله لقبيلة جذام :

لعمر وأبي سمية ما أبالي * أنب التيس أم نطقت حدام

إذا ما شلتهم ولدت تنادوا * أجدى تحت شاتك أم غلام

فهذه السخرية لاذعة وتصوير لحالهم حينما يولعون بالحيوان هذا الولوع إلى حد أنهم يفرحون كل الفرحة لما تلده الشاة وتهكمه بهم : إذاً قد يظنون أن الشاة قد علقت من أحدهم بغلام !

وتتبع السخرية من الفعل "تنادوا" الذي يصور فرحتهم ودعاء بعضهم بعضاً ، ثم من الإستفهام في الشطر الثاني من البيت الثاني.

أما معاصرة الخطيئة فقد طار صيته في الهجاء الساخر ، وإشتهر بيته اللاذع الذي يخاطب به الزبرقان :

دع المكارم ! لا ترحل لبغيتها * وإقعد ! فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقد كان أطول باعاً من حسان في السخرية التي لم تكن تفارقه في أغلب هجائه.

ويرى أنه هناك ثلاثة عوامل طبعت شخصيته بطابع الساخر.

أولها : عدم إهتمامه إلى حقيقة أبيه أو كونه "ولدزنا" كما كانوا يعتبرون وقد لازمته تلك العقدة طوال حياته وجعلته يحقد على المجتمع الذي عاش فيه سواءً أكان مجتمع أسرته أو أقاربه أو المجتمع الأكبر وهو قبيلته التي إنتسب إليها أو المجتمع العربي كله.

العامل الثاني : فهو حرمانه من ميراثه وإحساسه بالظلم والفقر في حين كان إخوته الآخرون يستمتعون بالمال والموروث.

أما العامل الثالث : فهو قبح منظره الذي شهد به المؤرخون الذين أرخوا حياته.

الفصل الأول

الجاحظ حياته وأدبه

المبحث الأول

مولده ونشأته

❖ كنيته :-

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بـ"الجاحظ" سمي بهذا الإسم لأن عينيه كانتا جاحظتين وكان يقال له "الحدقي" لجحوظ عينيه أيضاً ولد بالبصرة بالعراق سنة 163هـ/780م في العقد السادس من القرن الثاني من الهجرة وقد توفي والده وهو صغير ، وقد عرف عنه خفة الروح وميله إلى الهزل والفكاهة ، وقد طلب العلم في سن مبكرة وقد تتلمذ على أساتذة الدولة العباسية ، منهم الأصمعي وأبو عبيدة وأبو يزيد الأنصاري ، وقد قرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده⁽¹⁾

ولكن اليتيم والفقر قد حال بينه وبين طلب العلم فقد صار يبيع السمك والخبز في النهار ، ويذهب إلى دكاكين الوراقين في الليل فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته. ولما كبر وإشئت ساعده ذهب إلى بغداد ليستمع إلى علمائها.

فالجاحظ كان شغوفاً بالعلم حيث كان يجالس كبار العلماء في عصره مثل الخليل بن أحمد وسيبويه والأصمعي.⁽²⁾

❖ وفاته :-

إشئت المرض بالجاحظ في أواخر أيامه ، فأصيب بالفالج وعلى الرغم من شدة المرض إلا أن المرض لم يكن هو السبب في وفاته ولك كان علمه هو السبب حيث يقال أنه توفي بعد سقوط قسم من مكتبته فوق رأسه يعني سقطت عليه مجلدات الكتب.

وتوفي الجاحظ في عام 868م سنة 255هـ وكان عمره ستة وتسعين سنة.⁽¹⁾

(1) إنظر كتاب البلاء ص5

تأليف عمرو بن بحر بن الجاحظ

الكتاب العربي - بيروت - سنة 1427هـ - 2006م

(2) إنظر إلى السخرية في أدب الجاحظ ، السيد عبدالحليم محمد حسن ، دار الجماهيرية للنشر ، الطبعة الأولى

، ص31-32

❖ مؤلفاته :-

للجاحظ مؤلفات كثيرة منها :

(1) كتاب الحيوان :

هو كتاب ضخم يقع في سبعة أجزاء ، ألفه حسب قرائن موجودة فيه في أواخر حياته.

ويذهب الجاحظ في كتاب "الحيوان" إلى توخي السهولة واليسر ، وينشط قارئه ببعض الأخبار والطرائف حتى لا يمل من المواضيع الجادة.

وقد خص الكتاب لطبائع الحيوان مستعملاً الأخبار والتجارب والأشعار حول أصناف الحيوان وعاداته.

وإستغل ما عايشه مناظرات كلامية فناظر بين الكلب والديك مستعملاً ثقافته الموسوعية.

وقد جعل الجاحظ كتابه في وصف الكائنات ليدل على القدرة والحكمة الإلهيتين ، وقد تضمن الكتاب آراء الإعتزالية⁽²⁾.

(2) كتاب البيان والتبيين :

ألف الجاحظ كتاب "البيان والتبيين" بعد تأليفه كتاب "الحيوان" وقد لقي الكتاب حظوة لدى الدارسين فإنتقاه بعضهم من جملة نفائس الكتب التي حملت إلى الأندلس ، وتداوله الباحثون والنقاد.

(1) إنظر إلى ياقوت الحموي ، معجم الأدياء ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الجزء السادس عشر ، ص113 كتاب تاريخ النقد العربي عند العرب ، للدكتور عبدالعزيز عتيق ، الطبعة الرابعة ، ص3240

دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة 1406هـ ، 1986

(2) إنظر : إلى النادرة في البخلاء للجاحظ ، ص22

تأليف إبراهيم بن صالح ، هند بن صالح

دار محمد بن علي يونس ، 2004 ، الطبعة الأولى

وقد عرف فيه الجاحظ البيان والبلاغة وبين فضل العرب فيها وساق نماذج من بلاغة الخطب والأشعار وعادات الخطباء الحميدة والمذمومة ، ودافع عن الموهبة والطبع في الأدب شعراً ونثراً ، كما دافع عن اللسان البليغ والقول المبين مستشهداً بما ورد من آيات قرآنية وأقوال للرسول لتشييد بالبيان.(1)

وقد أثر الكتاب في الفكر النقدي الذي جاء بعده ، بما تضمنه من مواضيع نقدية مثل حدود البلاغة وضرورة الإبانة ومفهوم العي والحصر وآفات الخطباء والشعراء ، فكان منطلقاً إعتد به أهم النقاد القدامى مثل : ابن قتيبة والمبرد والحصري وابن رشيق ، وما زالت آراء الجاحظ النقدية تتداول حديثاً في الشعر والنثر.

ومن مؤلفاته أيضاً :-

- 3) المحاسين والأضداد
- 4) التربيع والتدوير
- 5) تهذيب الأخلاق
- 6) فلسفة الجد والهزل
- 7) مفاخرة الجوار ي والعلماء.
- 8) الدلائل والإعتبارات على الخلق والتدبير
- 9) التاج في أخلاق الملوك.

وغيرها الكثير من المؤلفات.

(1) انظر : إلى النادرة في البلاء للجاحظ ، ص 23

المبحث الثاني البخلاء

كتاب البخلاء هو الكتاب الذي جمع فيه الجاحظ أخبار ونوادير البخلاء في عصره وحلل نفسياتهم تحليلاً دقيقاً.

وتركزت قيمة الكتاب في جمال لفظه وإستقامة معناه ، كما أنه حافظ على وحدة الموضوع وإستطاع أن يجعل "البخل" موضوعاً أدبياً خالصاً وفيه نوع من أنواع الفكاهة ؛ جاعلاً كل شخصياته وصدوره وأحداثه في خدمة الموضوع.(1)

فالبخل من الصفات المذمومة التي يتصف بها بعض الناس وقد تحدث فيه عن نوعين من البخل :-

أولاً / البخل المرضي :

ويقصد بالبخل المرضي هؤلاء الذين يكتزون الذهب والفضة ويتخذون من المال معبوداً ويبخلون به على أنفسهم وأهلهم.(2)

أما النوع الثاني/ هو البخل الصحي :

ويقصد به الحرص وهو أمر واجب ، فالإسلام يطلب منا عدم التبذير وعدم الإسراف وضرورة الاعتدال في كل أمورنا وتحدث فيها عن قصة "مريم الصانع".

وقد جمع الجاحظ في هذا الكتاب نوادر البخلاء والأشخاص وقدم فيها نماذج حية تدين بمذهب البخل وصور فيها نفسية البخيل تصويراً دقيقاً بأسلوب لا يخلو من السخرية والتهكم ، ونرى مشاهد حية تتحرك فيها الشخصيات البخيلة فتحتاج

- وتجادل وتقدم التبريرات المختلفة.(3)

(1) إنظر : كتاب البخلاء للجاحظ ، ص157

(2) إنظر : كتاب البخلاء لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ص6-7 ، مكتبة ابن سينا للنشر

(3) إنظر : دراسات كتاب البخلاء للجاحظ ، ص163

وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام :-

- قسم يحتوي على مجموعة من الرسائل والنصائح المتبادلة بين البخلاء كرسالة⁽¹⁾ التي بعث بها سهل بن هارون إلى ابن عنه حين ذموا مذهبه في البخل ورسالة أبي العاص الثقفي التي دافع فيها عن الكرم ورسالة رد ابن النوام على رسالة أبي العاص وذمه في الكرم.
- قسم يحتوي على مجموعة من النوادر والحكايات والقصص عن البخلاء وهو القسم الأكبر في الكتاب.
- قسم الأحاديث وقد ذكر فيه الجاحظ أطرافاً من علم العرب في الطعام. وبذلك فإن كتاب البخلاء تغلب عليه روح الهزل والفكاهة ويعد نقلة في الكتابات العربية التي تلعب عليها الروح الجد.

الغرض من تأليف كتاب البخلاء :-

هناك دوافع عديدة دفعت بالجاحظ إلى تأليف كتاب البخلاء منها :⁽²⁾

- ربما كان بناءً على طلب أحد الأعيان وذلك لقوله "وقلت : أذكر لي نوادر البخلاء وإحتجاج الأشجاء".
- ربما كان الدافع يخفى وراء إنتصاراً للعرب إزاء ما حاول فيه الشعوبيون الخط من كرامة العربي ولا سيما أعراب البادية ، إذ حاول الشعوبيون إنتقاصهم والغضّ من مفاخرهم.
- ربما أدرك الجاحظ الردّ علي الشعوبية ، فأصطنع الهجوم المتعاكس ، ووصف أهل خراسان بالبخل.
- بل ربما إصطنع ذلك ليستر مقصودة بعيداً عن أعين النقاد وفي ذلك يقال "العرب إذا وجدت رجلاً من القبيلة قد أتى قبيحاً ألزنت ذلك القبيلة كلّها".

(1) إنظر : كتاب النادرة في البخلاء للجاحظ ، ص29-30 ، الطبعة الأولى ، نوفمبر 2004 ، تأليف إبراهيم صالح ، هند بن صالح

(2) المصدر : كتاب البخلاء ، لعمر بن محبوب الجاحظ ، ص19-20 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة

وقد يكون العربي قد إضطر إلى التظاهر بمظهر البخل لغاية في نفسه ،
وذلك لأن العرب إشتهروا بالكرم منذ وجدوا ، ومن هذا فإن الجاحظ قد
شرع في تأليف كتاب يجمع فيه ما عرف عن الفرس من رذيلة البخل.

- عمل الجاحظ على تصوير نفسية البخيل تصويراً دقيقاً⁽¹⁾ ، وقد وردت أخبار
البخل والبخلاء في العديد من المصنفات والتأليف كعبور الأخبار لابن قتيبة
ومحاضرات الأدباء للربيع الأصبهاني والعقد الفريد لابن عبدربه والأغاني
لأبي فرج الأصفهاني وغيرها من الكتب القيمة القديمة.

ولكن لم يفرد أحد البخل والبخلاء كتابياً في كتاب سوى الجاحظ.

غاية الجاحظ من تأليف كتابه :- (2)

غاية الجاحظ من كتابه هذا متعددة الجوانب ، فهو من جهة يريد إضحاكنا وتسليتنا
فتراه يمزج الجد بالهزل ويرسم أبطاله رسماً كاريكاتورياً طريفاً ويستعمل الوصف
الدقيق وبعض الكلمات الواقعة المبتذلة ليثير إهتمامنا.

وللجاحظ غاية أخرى من كتابه وهي إنتقاد سلوك هذه الفئة من الناس التي عادت
المال.

كما بين في محتوى كتابه غاية تربوية أخلاقية وهي إصلاح هؤلاء الناس وتعليمهم
وهم يضحكون.

وميزة الجاحظ هو أنه لم يقدم لنا درساً نظرياً في الوعظ والإرشاد ولم يقدم البخل
كموضوع أخلاقي أو تربوي ولكن صورته موضوعاً أدبياً وعرضاً فنياً ، تتوفر فيه
المتعة الفنية واللذة الأدبية.⁽³⁾

(1) انظر المصدر السابق ، ص21

(2) انظر : إلى كتاب أبوعثمان الجاحظ ، ص28

د.م أحمد الطويلي ، نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم عبدالله ، سنة 1992م ، الطبعة الأولى

(3) انظر : كتاب أبوعثمان الجاحظ ، د. أحمد الطويلي ، ص29

أن هذا الكتاب مثل أدبي مميز ، ونلاحظ أن بينته ترجع للغاية التي أريدت منه وللأهداف التي رسمها المؤلف في تأليفه.

ولذلك فإن بنية الكتاب تقوم على وجهتين :-

- الوجهة الأولى : يتمثل في ميل الجاحظ للدعائية والمرح والهزل والإضحاك في تناوله لموضوع البخل.

- الوجهة الثانية : هي تعاطي المؤلف لصناعة الكلام مما جعله يصور شخصياته بروح كلامية واضحة فأغلب هذه الشخصيات البخيلة تدافع عن نفسها بتقديم حجج منطقية. (1)

- أسلوب الجاحظ في كتاب البخل :-

كان أسلوبه حسيّ مادّي فهو يحرص على استعمال الكلمات التي تقرب الصورة الحسية من الذهن ولو كانت قريبة من العامة.

ولقلمما يذكر الجاحظ المغزى المقصود من القصة التي يحكيها بل يترك ذلك للقارئ ليستنسخ ما يستطيع أن يتخيل من القصة أو البخل الذي يشير إليه وليس في الكتاب استطراداً لأن موضوع الكتاب كله فكاهي. (2)

(1) إنظر : كتاب ابوعثمان الجاحظ ، د. أحمد الطويلي ، 30

(2) المصدر تاريخ الأدب العربي ، ص308

المبحث الثالث
السخرية في أدب الجاحظ

• السخرية في اللغة :-

الأصل في التسخير التذليل نحو (سخرته : أي قهرته وذلته) وسخره تسخيراً : أي كلفه عملاً بلا أجره ، وتسخرت دابة لفلان : أي ركبتها بلا أجر وأصل المادة بعامّة يدور حول "اللين" وورد معناها في اللغة مشتقاً على التذليل. (1)

فالسخرية هي طريقة من طرق التعبير يستعمل فيها الشخص ألفاظاً تقلب المعنى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة ، وهي صورة من صور الفكاهة تعرض السلوك المعوج.

وقال آخر : هي طريقة في التهكم المرير الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان. (2)

• السخرية في الإصطلاح :-

هي الضحك ، أو التجريح الهازئ ويكون فيها غرض الساخر هو النقد أولاً والإضحاك ثانياً وهي تصوير الإنسان تصويراً هزلياً يكون بوصفه في صورة مضحكة. (3)

والسخرية في كتاب الجاحظ لها دلالة أخرى إضافة إلى الإضحاك ، فهي لون من ألوان النقد.

فالجاحظ ناقد يطبعه غير أن لين جانبه وحبه للناس جعله يبتعد عن طريق الجد.

فكانت السخرية عنده أداة نقدية فعالة لكل المظاهر السلبية في المجتمع وفي النفس الإنسانية. (4)

(1) إنظر : إلى كتاب السخرية في الأدب العربي ، ص12-13

للدكتور نعمان محمد أمين ، سنة 1399 هـ ، 1979م

(2) لسان ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين ، بيروت ، ط الأولى ، ج7

(3) إنظر : إلى السخرية في الأدب العربي ، ص14

(4) إنظر : كتاب البخلاء للجاحظ ، ص177-178

فالجاحظ نفسه يعي تأثير هذه الأداة وفعاليتها فهو لم يرفض نظرة البخلاء للحياة صراحة ولكن السخرية اللاذعة التي صوّر فيها منطقتهم كانت مرآة عاكسة لعيوبهم. غير أن سخرية الجاحظ ومزاجه ودعابته ليست سخرية مبتذلة هدفها التهريج والضحك على الناس.

بل هي سخرية أديب مفكر عقلي تمتاز بالموازنة بين الإمتاع والترؤيع عن النفس والفائدة في نفس الوقت إنها سخرية ذكية راقية تنمي الأذواق وترهف الاحاسيس حيث أنه كان لا يرضى عن المبالغة في السخرية وخروجها عن الحد المعقول.⁽¹⁾

(1) المصدر السابق ، ص178

❖ أسباب سخرية الجاحظ :-

إن سخرية الجاحظ متصلة بطبيعة موقفه من الحياة وهو موقف التوجيه والنقد ، فلم تقم سخريته على عاطفة شخصية ، ولم تقم على الهجاء أو الشتم.(1)

فعاش الجاحظ في مجتمعه بعين الخبير الناقد فكان يعالج المشكلات بالضحك والسخرية وخاصة في مواجهة خصومه(2) ، فسخر من كل تصرف أو قول غريب يخالف قواعد مجتمعه فتلاحظ أن السخرية تسري في كل كتاباته التي تتناول شتى الموضوعات والتي كانت تمتلئ بالأدلة والبراهين وخاصة الدينية كتفسير آية وشرح حديث.(3)

❖ عوامل نبوغ الجاحظ في فن السخرية :-

تعددت العوامل التي جعلت من الجاحظ أديباً ساخراً ، يجعل من السخرية فناً وأدباً له أشكاله ومنها(4) :-

1) الوراثة :-

كان جد الجاحظ أسود يقال له فزارة وكان هذا الجد فكهاً ؛ وكذلك كانت أم الجاحظ فيها ميل واضح إلى السخرية فقد روي أن الجاحظ في حديثه مسغولاً بالعلم ؛ فطلب من أمه الطعام يوماً ، فجاءته بطبق فيه كراريس فقال لها : ما هذا ؟ قالت : هذا الذي تجيئ به. فالميل إلى المرح والفكاهة والسخرية لدى الجاحظ يرجع إلى الوراثة.(5)

2) المجتمع والبيئة :-

أ. البيئة العامة : نشأ الجاحظ يبيع السمك والخبز وكان يتردد على كتاب القرية يتلقى مبادئ العلوم مع أمثاله من الصبيان فهذان المجتمعان مليونان

(1) السخرية في أدب الجاحظ ، السيد عبدالحليم محمد حسين ، ص99

(2) انظر المصدر السابق ، ص6

(3) انظر المصدر السابق ، ص62

(4) انظر السخرية في ادب الجاحظ ، السيد عبدالحليم محمد حسين ، ص131

(5) انظر المصدر السابق ، ص132

بالنواذر والطرائف كما ظهرت في مجتمعه الطوائف والطبقات فسرت فيه روح الخفة والتهكم فقد كان هذا المجتمع مليئاً بالانتقادات.

ب. البيئة الفكرية : كانت بيئته الفكرية أثر كبير في السخرية لديه وبراعته فيها فقد نشأ في الكتاب حتى كبر سنه ثم قصد شيوخ البصرة وايمتها في العلم والادب كما لازم⁽¹⁾ شيوخ البصرة الذين لا يضيعون فرصه للسخرية أبو عبيده بن معمر المثني وإبراهيم بن سيار النظام الذي كان مشهوراً بالدعابة فقد لازمه الجاحظ ملازمة شديده ظهرت آثارها في كتابه ومنهم أيضاً ثمامة الأشرس وقد نقل عنه الجاحظ كثيراً من أدبه كما كان أستاذاً له في المجون والفكاهة⁽²⁾ والنادرة اللاذعة.

فصار الجاحظ واسع الاطلاع فقال عنه ابوها :

"لم أزقط ، ولا سمعت ، من أحب الكتب والعلوم ، أكثر من الجاحظ وكان علمه لم يقف عند حد"

❖ موضوعات السخرية في أدب الجاحظ

(1) العيوب الجسمية والمظهرية :-

فقد كانت العيوب الجسمية والمظهرية من أهم موضوعات السخرية وأكثرها رواجاً عند الكتاب والشعراء في عصر الجاحظ حيث كتب عنها فقال عن نفسه ذات مره "أنه وصفه للخليفة المتوكل أحد أولاده فلما رأى الخليفة صورته استبشعها فصرفه"⁽³⁾.

(2) قرابه الطباع والأخلاق :-

فقد أشتهر العصر العباسي بغرابة الطابع والأخلاق فجاء الجاحظ بنقده وسخريته ليبرزها وكانت من اشهر تلك الطباع وأبرز تلك الأخلاق التي تهكم بها هي :

(1) انظر السخرية في ادب الجاحد السيد عبد الحكيم محمد حسين ، ص 133 134

(2)

(3) انظر السخرية في ادب الجاحظ السيد عبد الحميد حليم محمد حسين ص 44

أ. البخل : حيث كثر البخلاء في عصر الجاحظ وإمتلكوا الثروات وتحكموا بأموالهم⁽¹⁾ في المجتمع حيث ان التاجر الرابع يظن ويبخل على غيره فقد خصص للبخيل كتاباً خاصاً وهو كتاب "البخلاء" حيث تصور فيه حرص مجتمعه وشحهم وجعل الدرهم عند البخيل يساوي دية مسلم فيقول : "الدرهم عشرة العشرة ، وأن العشرة عشر المائة ، وأن المائة عشر الألف ، وأن الألف عشرة العشرة الألف ، أما ترى كيف إرتفع الدرهم إلى دية المسلم!؟"⁽²⁾

ب. النفاق : فقد كان النفاق محلاً للسخرية عند الجاحظ فقال عن قاسم الثمار حين "أقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ وذلك بعد العصر بساعة ، فقال بعضهم : قم صل فاتتك الصلاة! ثم أمسك عنه بساعة ، ثم قال لآخر : قم صل ، ويلك فقد ذهب الوقت. فلم أكثر عليهم في ذلك وهو جالس لا يقوم يصلي ، فقال له واحد منهم : انت! لم تصلي ؟ فأقبل عليه فقال : ليس والله تعرفون أصلي في هذا قلت : وأي شيء أصلك ؟ قال : لا تصلي لأن هذه المغرب قد جاءت.

ج. الجحود ونكران الجميل : صخر الجاحظ من الذين يحبون ان يأخذوا دون ان يعطوا ، ويتنكرون لمن يسري لهم الجميل.⁽³⁾

(1) انظر الصخرية في ادب الجاحظ السيد عبد الحلیم محمد حسین ص 147

(2) انظر المصدر السابق ص 148

(3) انظر الصخرية في ادب الجاحظ السيد عبد الحلیم محمد حسین ص 154

الفصل الثاني

شخصيات البخلاء عند

الجاحظ

المبحث الاول
نماذج رجالية

❖ النموذج الأول : السخرية من أهل مرو :-

أهل خراسان :-

قال ثمامة : "لم أرَ الديك في بلدة قط إلا وهو لا قط ، يأخذ بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة الا ديكة مرو ، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاجة ما في منقارها من الحب قال "فعلمت أن بخلهم شيء طبع في البلاد وفي جواهر الماء ، فمن ثم جميع حيوانهم." (1)

❖ النموذج الثاني عدم إكرام الجار :-

الكندي :-

روى الجاحظ عن الكندي انه كان شديد البخل ، قال : "كنت أتغذى عنده يوماً ، اذ دخل عليه جاراً له ، وكان الجار صديقاً لي ، فلم يعرض عليه الغذاء فإستحييت أنا منه ، فقلت لو أصبت مما نأكل! قال : قد والله فعلت ، قال الكندي : ما بعد الله شيئاً قال فكفته والله كتفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً وتركه." (2)

قام الجاحظ باختيار أسلوب السخرية في تصوير البخلاء وحالاتهم الاجتماعية والطبقات التي ينتمون إليها مثل أهل خراسان، وخص بالذكر أهل مرو، وأهل البصرة وغيرهم من عامة الناس أو ساداتهم على حد سواء، ومثل لحالات الشره في الأكل وحال المكدين في كيفية الحصول على المال، وصور نفوس البخلاء وجسدها من خلال تصوير حيواناتهم تصويراً بليغاً مبالغاً كذكره لديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب، وكذلك ذكر الجاحظ في كتاب البخلاء الكندي بوصفه رمزا ومثالا للبخل، وتحدث عنه في هذا الكتاب مركزاً على صفة البخل، فقد جعله غنيا يملك دوراً للكراء ويشترط على السكان شروطاً تدل على بخله، فالخوف يستقر في نفس البخيل كخوفه على ضياع ماله، أو خوفه من أن يصبح فقيراً مثل الكندي،

(1) انظر البخلاء لعمر بن محجوب الجاحظ 41

(2) انظر كتاب البخلاء لعمر بن بحر بن محجوب الجاحد صفحه 103

فالجاحظ صورته على أنه غنيا لكنه شديد البخل وهذا يدل على خوفه من زوال
ماله.¹

لقد كان للكندي قيمة أدبية وقنية في عصره، لقب بفيلسوف العرب حيث كان أول
فيلسوف من أصول عربية، كما أنه رجل طيب، حسن الخلق، حديثه جيد، لا يعيبه
شيء سوى البخل، وهذا يعني أن لبخلاء الجاحظ صفات إيجابية عديدة، فهم كانوا
أدباء وفنانين وفلاسفة، لقد جعل الجاحظ الكندي بطله في أطول قصة في بخلائه
واستحضر طاقته الفنية بكل مقوماتها لتحليل شخصية البخيل.

¹ الجاحظ البخلاء، ص 18 . 2 . الجاحظ البخلاء، ص 81

المبحث الثاني
نماذج نسائية

❖ النموذج الأول : الشح والبخل المرضي :-

قصه معاذة العنبرية :

ثم اندفع شيخا منهم فقال : "لم أرَ في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبرية" قالوا : وما شان معاذة هذه ؟ قال : أهدي إليها العام ابن عم لها أضحيه فرأيتها كئيبه حزينة مفكرة مطرقة ، فقلت لها : مالك يا معاذة ؟ قالت : أنا امرأة أرملة وليس لي قيم ، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي ، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه ، وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة ، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة ، ولست أخاف تضيع القليل إلا أنه يجري تضييع الكثير ، أما القرن فالوجه فيه معروف وهو أن يجعل منه كالخطاف ويسمر في جدع من أجداع السقف فيعلق عليه الزبل والكيران ، وكل ما يخيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان ، والحياة وغير ذلك.

أما المصران فإنه لأوثار المندفة وبنا إلي ذلك أعظم الحاجة وأما قحف الرأس ، واللحيان وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق ثم يطبخ ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإيدام وللعصيدة ولغير ذلك ثم تؤخذ تلك العظام فيعقد بها فلم يرى الناس وقوداً قد أصغى ولا أحسن لهباً منه.

وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر لقلّة ما يخالطها من الدخان..... ثم قالت بقي الآن علينا الإنتفاع بالدم وقد علمت أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه ، وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها ، وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الإنتفاع به صار كئيبه في قلبي وقذي في عيني وهماً لا يزال يعودني".

..... قال : "ثم لقيتها بعد ستة أشهر فقلت لها : كيف كان قديد تلك "الشاة" قالت : بأبي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد.

لنا في الشحم والإيلية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش ولكل شيء أبان".

فقبض صاحب الحمار والماء العذب فقط قبضة من حصى ثم ضرب بها الأرض ثم قال : "لا تعلم أنك من المسرفين حتى تسمع بأخبار الصالحين".⁽¹⁾

❖ النموذج الثاني : الإصرار والمبالغة في ترقيع القميص :-

ليلى الناعطية :-

واما ليلى الناعطية صاحبة الغالية من الشيعة فإنها ما زالت ترقع قميصاً لها وتلبسه حتى صار القميص الرقاع وذهب القميص الأول ورفعت كسائها ولبسته حتى صارت لا تلبس إلا الرفو ، وذهب جميع الكساء وسمعت قول الشاعر:

إلبس قميصك ما اهتديت لجيبه *** فإذا أضلّك جيبه فاستبدل

فقلت : "أني إذا لخرقاء أنا والله أحوص الفتق وفتق تقع الخرق وخرق الخرق".⁽²⁾

فالجاحظ وظف المرأة في كتابه باعتبارها قيمة رمزية ومعنوية في المجتمع لتكون أكثر واقعية ، ومن هؤلاء نجد معاذة العنبرية التي مثلت البخل والتدبير فهي إستعملت ذكائها لتستفيد من أجزاء الأضحية محاولة تحقيق أهدافها في عملية التكديس والجمع ، حيث كان ينتابها الهلع والإكتئاب والخوف من تضييع أي جزء من الأضحية ، ودليل ذلك قولها : "ولست أخاف تضييع القليل إلا أنه يجر تضييع الكثير".

وتزداد السخرية أكثر عندما سألتها الشيخ عن القديد بعد ستة أشهر وقد وجدها تكتنزه ولم يحن الوقت لأكله.

(1) انظر الى البلاء لعمر بن بحر بن محبوب الجاحظ ، بيروت - لبنان ، سنة 1427 هـ ، 2006 م ، ص

58-57

(2) انظر المصدر السابق ، ص 60

وفي قصة ليلي الناعطية التي بدت حريصة على ترقيع الثياب وعدم رميها فإنه
لترقع بين الفتق والفتق وذلك أهون على نفسها من رميه أو إستبداله ، وكان ذلك قمة
في البخل.

الخاتمة

في خاتمة البحث بسجل بعض النتائج التي توصلنا اليها التي يمكن إجمالها في الآتي:-

- بعض دراستنا للمعني اللغوي لكلمة السخرية تبين لنا أنها تدل على التحقير التذليل، بينما وجدنا في المعني الاصطلاحي أنها يتم فيه خلط السخرية لعناصر أخرى كالفكاهة والضحك .
- ولكننا توصلنا أخيراً إلي أن السخرية فن راقبي يقوم علي إنتقاد الظواهر السلبية سواء في الفرد الواحد أو المجتمع كله .
- تعددت أسباب السخرية ودوافعها فمنها النفسية ومنها الإجتماعية وغيرها ، وتبين لنا من خلال دراستنا أن منبعها هو الألم الدفين فهي سلاح بعض الأدباء في مقاومة الظلم.
- تظهر شخصيات البخلاء في مختلف الطبقات الاجتماعية وتشكل من خلال إختلافها في بعض الأمور وتقاطعها في أمور أخرى صورة للبخيل في عصر الجاحظ
- قد حرص الجاحظ علي إنتقاء شخصيات من مختلف الطبقات الإجتماعية حتي يرسم صورة عامة للحياة الإجتماعية وأهم مظاهرها.

المصادر والمراجع :-

1. البخلاء ، لعمر بن بحر بن محبوب الجاحظ (الكتاب العربي - بيروت - سنة 1427 - 2006م).
2. السخرية في أدب الجاحظ ، السيد عبدالحليم محمد حسن ، دار الجماهيرية للنشر ، الطبعة الأولى.
3. معجم الأباء ، ياقوت الحمري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الجزء السادس عشر.
4. النادرة في البخلاء للجاحظ ، تأليف ابراهيم بن صالح ، هند بن صالح ، دار محمد بن علي يونس ، 2004 ، الطبعة الأولى.
5. تاريخ النقد العربي ، للدكتور عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة 1406هـ ، 1986م ، الطبعة الرابعة.
6. ابوعثمان الجاحظ ، دراسة ومنتخبات ، للدكتور احمد الطويلي ، نشر وتوزيع مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله ، تونس ، سنة 1992م ، الطبعة الأولى.
7. السخرية في الأدب العربي ، لدكتور نعمان محمد أمين سنة 1399هـ ، 1979م.
8. البيان والتبين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل ودار الفكر ، بيروت
9. الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل ودار الفكر ، بيروت ، سنة 1408هـ ، 1988م
10. لسان العرب ، ابوالفضل جمال الدين ، الطبعة الأولى ، الجزء 7